الأهرام

المصدر : الاهـــرام

التاريخ : ٣ يولية ٢٠٠٠

التجسيد اللبنانى لفكر المقاومة

د. جمال على زهران

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية

جامعة قناة السويس

رحل العدو الإسرائيلي من الجنوب اللبناني بغيرا ستئذان او اتفاق، وبدون قيد أو شرط، وذلك قبل الموعد المعلن من جانب الحكومة الإسرائيلية فى ظل السيد باراك بنحو شهرين تقريبا، فشاهدنا انسحاب، إسرائيليا مخزيا، وقد خلف وراءه عارا لايمكن نسيانه على الاطلاق. وقد نقلت عدسات الأقمار الصناعية الجنود الإسرائيليين وهم يهرولون إلى داخل الحدود الإسرائيلية، غير عابئين أو مهتمين الا بانفسهم، كما لا حظنا عدم الحماية الإسرائيلية لجنود الجيش اللبنانى العميل، وتركوهم لمصيرهم ليقعوا فى داخل السيطرة اللبنانية ليحاكموا بتهمة الخيانة والعمالة. الخ، بدلا من تحمل أعبائهم المعيشية والأمنية ولاشك ان هذا جزاء من باع نفسه ضد وطنه من ناحية، وإثبات بأن إسرائيل لاتحمى عملاءها.

وقد يتساءل البعض لماذا قررت إسرائيل ونفذت هذا الانسحاب المخزى دون تريثات أو حتى مجرد ثمن بسيط يقضى بالانسحاب المشرف والذى تقضى به الأعراف الدولية؟!

والإجابة على هذا السؤال هى محور هذا المقال. فالواضح إنن أن إسرائيل ما كانت تقرر مثل هذا الانسحاب أو إعادة النظر فى أمر مستقر الا اذا توافق ذلك مع مصلحتها من ناحية، أو كان هذا الشىء قد أصبح عبئا عليها لا يوازيه وجودها، بعبارة أخرى فإن الثمن الذى تدفعه إسرائيل نتيجة وجودها فى هذه الارض اللبنانية المحتلة، أكبر بكثير مما يمكن ان تحصل عليه من جراء وجودها، فضلا عن ذلك فإن هناك أصرارا كبيرا ومتواصلا من جانب الطرف اللبنانى على مقاومة هذا الوجود، الذى لم تعد تفلح معه أية اعتداءات عسكرية على المدنيين لإجهاض قدرتهم على المقاومة، أو على العسكريين وحزب الله ومناطق عسكرية لإضعافهم وشل قدرتهم على المقاومة أيضا وقد قاد ذلك العقل الاستراتيجى الإسرائيلى إلى مراجعة الأمر بسرعة تجنبا لمزيد من الخسائر والاستنزاف المادى والمعنوى، وكان الانسحاب ترجمة لهذه المراجعة بلا تردد. وعلى الجانب الآخر، وبعيدا عن توجهات المقاومة اللبنانية، فإن هذا الانتصار الساحق الذى يشبه زلزال أكتوبر ١٩٧٣، قد أفصح عن ان إرادة الأمة العربية مازالت حية وقلبها ينبض وأن كل المحاولات المستميتة من جانب دعاة «ثقافة السلام» والتى لاتخرج عن كونها دعوة لتكريس «ثقافة الاستسلام»، قد أخفقت فى النيل من ارادة هذا الشعب الأبى الذى يحمل فى أحشائه قدرة على الصمود ومخزونا نضاليا كبير يستمد قوته واستمراريته من معين التاريخ وفلسفة وجغرافية الموقع وعبقريته.

فإسرائيل لاتحترم الا منطق القوة، وتعتبر هذا المنطق هو أساس وجودها، واذا جردت من قوتها فقدت شرعيتها وفلسفة نشوئها، كما ان الذين يتعاملون معها لاتعيرهم اهتماما يذكر، أو تأخذهم فى الحسبان الا اذا هددوا باستخدام القوة، أو لوحوا بذلك صراحة أو اشارة أو ضمنا. وهى تثبت من واقع تصرفاتها سلامة مصطلح «ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة» فالمحتل الغاصب كالسارق، يسعى للاستمتاع بما استطاع ان يستولى عليه، ولايمكن التنازل عن شىء مما اغتصبه الا اذا تمت مقاومته بالقوة. وإسرائيل هى ذات النموذج، لم تدخل خندق المفاوضات مع الفلسطينيين الا تحت ضغوط أطفال الحجارة وانتفاضتهم الشهيرة، ولم تدخل فى مفاوضات السلام مضطرة مع مصر الا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم ترحل من الجنوب اللبنانى أخيرا الا تحت ضغط واستمرارية المقاومة اللبنانية، وهذا هو الدرس الذى يجب ان نتفهمه فى التعامل مع إسرائيل، فالحصول على أقصى المكاسب مع المفاوضات مع إسرائيل، ولايمكن ان يتحقق إلا من التلويح بالقوة والعنف واشعار إسرائيل بالقدرة على تنفيذ ذلك، وحتى يمكن لإسرائيل ان تعيش فى هذه المرحلة من «صراع السلام» فى المنطقة، فان عليها ان تتجنب الدخول فى دوامة العنف التى لايعرف أحد مداها عندما تشتعل.

فالتفكير المستمر فى محاولات إجهاض ارادة الأمة العربية، ومحاولات ترويض الأمة على ان يتجرع ابناؤها «ثقافة الاستسلام» ومحاولات تطويع مستقبل الأمة لسلام غير آمن وغير عادل وغير شامل، مآله الاخفاق، فالمخزون الاستراتيجى من «ثقافة المقاومة» لدى شعوب هذه الأمة كبير ولاينضب.

لقد استطاع «لبنان» البلد العربى الصغير ان يجسد فكر المقاومة بإرغام إسرائيل على هذا الانسحاب المخزى الذى لن ينساه التاريخ. وأضاف لبنان وأبطال المقاومة تجربة جديدة وحية تعين الأمة على الصمود ومواجهة التحديات فى ظل عالم لايرحم الضعفاء ويساند الأقوياء وينحنى مجبرا أمام المقاومة وأخيرا تحية لكل مقاتل عربى قدم حياته فداء للوطن.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية